مسجد النور نيمخن: 18 يوليوز 2025
موضوع الخطبة : الثبات على الدين

إن الإنسان في حياته الدنيوية يواجه فتناً متنوعة، لا تمضي عليه واحدة إلا خلفتها أخرى، تبتلى بها قلوب بني آدم؛ عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله (ﷺ): "تُعرَضُ الفِتَنُ على القُلوبِ عَرْضَ الحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قلبٍ أُشْرِبَها نُكِتَتْ فيه نُكتةٌ سَوداءُ، وأيُّ قلبٍ أنْكَرَها نُكِتَتْ فيه نُكتةٌ بيضاءُ، حتى يصيرَ القلبُ أبيضَ مثلَ الصَّفا، لا تَضُرُّه فِتنةٌ ما دامَتِ السمواتُ والأرضُ، والآخَرُ أسودُ مُربَدًّا كالكُوزِ مُجَخِّيًا، لا يَعرِفُ مَعروفًا، ولا يُنكِرُ مُنكَرًا، إلا ما أُشْرِبَ من هَواه" (رواه مسلم)

إنه لا أضر على المسلم من فتنة تحيد به عن الطريق المستقيم إلى سبل أهل الجحيم، وذلك من إسلام إلى ردة، ومن إيمان إلى نفاق أوإلحاد وانتكاسة والله المستعان.

أيها المسلمون: إن شيوع الانحراف عن الحق الذي يدعو إليه أهل الباطل عبر وسائل الإعلام المختلفة بالإغراء بالمال أو الجاه أو النساء قد أوجد تجاوباً لدى أصحاب القلوب الضعيفة من المسلمين؛ فباعوا الدين والقيم الحميدة بعرض من الدنيا قليل من مال أو وظيفة أو شهوة عاجلة.

لهذه المظاهر ونحوها يشتد خوف المسلم على دينه واستقامته، فيخاف على نفسه وأهله وأولاده من خطاطيف الضلالة.

لهذا كان الحديث عن الثبات على دين الله -تعالى- من الأمور المهمة في هذه الأحوال الخطيرة.

اعلموا أيها الناس أن أعظم نعمة أنعم الخالق على المخلوق بها هدايته إلى الإسلام الخالص، وهذه النعمة تستوجب الشكر ومن شكرها: الثبات عليها على كل حال.

لقد تحدث القرآن الكريم على الثبات في صور شتى:

- أحياناً بالدعاء به، قال -تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 250)
- وأحياناً يبين بعض أسباب الثبات على دين الله، كالعمل بالموعظة والاستجابة لها بتنفيذ الأوامر والنواهي، قال -تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً﴾ (النساء: 66)
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: 7)
- وأحياناً يذكر نماذج للثابتين ممن سبقونا من الأنبياء وأتباعهم فذكر لنا قصة إبراهيم (عليه السلام) وكيف ثبت على الحق حتى ألقي في النار، فكانت عليه برداً وسلاماً جزاء ثباته وتضحيته، ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ(70) ﴾ (الانبياء: -68-69-70)، وذكر لنا ثبات أصحاب الأخدود، الذين لم ترهبهم النار ذات الوقود، وغير ذلك من حديث الثابتين في القرآن الكريم؛

وفي السنة النبوية كذلك أمثلة كثيرة للثابتين منها ما أخرجه الإمام أحمد وغيره من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (ﷺ): "لمَّا كانت اللَّيلةُ الَّتي أُسْرِيَ بي فيها أتتْ عليَّ رائحةٌ طيِّبةٌ، فقلْتُ: يا جبريلُ، ما هذه الرَّائحةُ الطَّيِّبةُ؟ فقال: هذه رائحةُ ماشطةِ ابنةِ فِرعونَ وأولادِها، قال: قلتُ: وما شأنُها؟ قال: بيْنما هي تَمشُطُ ابنةَ فِرعونَ ذاتَ يومٍ إذ سقَطتِ المِدْرى مِن يَدَيها، فقالتْ: باسمِ اللهِ، فقالتْ لها ابنةُ فرعونَ: أبي، قالت: لا، ولكنْ ربِّي وربُّ أبيكِ اللهُ، قالت: أُخْبِرُه بذلك؟ قالت: نعمْ، فأخبرتْه، فدعاها، فقال: يا فلانةُ، وإنَّ لكِ ربًّا غيري؟! قالت: نعمْ، ربِّي وربُّكَ اللهُ، فأمَرَ ببَقرةٍ مِن نُحاسٍ فأُحْمِيَتْ، ثمَّ أمَرَ بها أنْ تُلقى هي وأولادُها فيها، قالت له: إنَّ لي إليكَ حاجةً، قال: وما حاجتُكِ؟ قالت: أُحِبُّ أنْ تَجمَعَ عِظامي وعظامَ ولدي في ثَوبٍ واحدٍ وتَدفِنَنا، قال: ذلك لكِ علينا مِن الحقِّ، قال: فأمَرَ بأولادِها فأُلْقوا بيْنَ يَدَيها واحدًا واحدًا، إلى أنِ انتهى ذلك إلى صَبيٍّ لها مُرضَعٍ، وكأنَّها تَقاعَسَتْ مِن أجلِه، قال: يا أُمَّه اقتَحِمي؛ فإنَّ عذابَ الدُّنيا أهونُ مِن عذابِ الآخرةِ، فاقتحَمَتْ. قال: قال ابنُ عبَّاسٍ: تكلَّمَ أربعةُ صِغارٍ؛ عيسى ابنُ مريمَ عليه السَّلامُ، وصاحبُ جُرَيْجٍ، وشاهدُ يُوسفَ، وابنُ ماشطةِ ابنةِ فرعونَ"

أيها المسلمون: إن سيد البشرية محمداً (ﷺ) هو سيد الثابتين على الحق، وقد اجتمعت له دواعي النكوص ترغيبها وترهيبها، لكنه لم ينصع لها ولم يستجب لها؛ بتثبيت الله إياه.

رُغِّب في الدنيا ورئاستها، ورُهب بالبلايا وصروفها كي يرجع عن الحق، فوضع ذلك كله تحت قدميه ومضى في طريق الحق ثابتاً.

جاء إليه وفد قريش فقالوا: يا محمد، إن كنت إنما تريد بما جئت به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كنت تريد بما جئت به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، إلى آخر ذلك الإغراء، فما كان جواب رسول الله (ﷺ) إلا الإعراض عن ذلك كله.

وقالوا له: ساحر، كذّاب، شاعر، مجنون، ثم توعدوه بالقتل، وحاولوا ذلك مرات عديدة، لكن الله حال بينهم وبين ما يشتهون، قال -تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال: 30)

ولقد ضرب صحابته الكرام أروع الأمثلة في الثبات في حياته وبعد مماته، وربما ثبتهم بقوله (ﷺ): "مرّ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بياسرٍ وعمّارٍ وأمّ عمارَ وهم يُؤذونَ في اللهِ تعالى فقال لهم: صبرا يا آل ياسرَ، صبرا يا آل ياسرَ فإن موعدكُم الجنةُ"

(رواه الحاكم والبيهقي)

وعن أبي عثمان أن سعدا قال: نزلت هذه الآية فِيَّ ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ (لقمان: 15) قال: كنت براً بأمي، فلما أسلمت، قالت: يا سعد، ما هذا الدين الذي قد أحدثت؟ لتدعن دينك هذا، أو لا آكل، ولا أشرب، حتى أموت، فتعير بي، فيقال: يا قاتل أمه، قلت: لا تفعلي يا أمه، إني لا أدع ديني هذا لشيء، فمكثت يوما لا تأكل ولا تشرب وليلة، وأصبحت وقد جهدت، فلما رأيت ذلك، قلت: يا أمه، تعلمين والله لو كان لك مائة نفس، فخرجت نفسا نفسا، ما تركت ديني إن شئت فكلي أو لا تأكلي فلما رأت ذلك أكلت (رواه ابو يعلى في مسنده)

وبعد وفاة رسول (ﷺ) ظهرت بوادر الردة عند بعض القبائل فثبت الله المسلمين حينئذ بثبات أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) والصحابة الآخرين -رضي الله عنهم.

والحديث عن الثابتين بعد رسول الله إلى يومنا هذا يطول: إنه على قدر ثبات العبد على الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار، يكون ثباته على الصراط المنصوب على متن جهنم وعلى قدر سيره على هذا الصراط في الدنيا يكون سيره على ذلك الصراط فمنهم من يمر مر البرق ومنهم من يمر مر كالطرف ومنهم كالريح ومنهم من يمشي مشياً ومنهم من يحبو حبواً ومنهم المخدوش ومنهم من يسقط في جهنّم وهل تجزون إلا ما كنتم تعملون، ولذا نحن في اليوم مرات ومرات علمنا ربنا ان ندعوه فنقول في كل ركعة من الصلاة ﴿اهدِنَـــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ وعقبها نقول أمين ومعناه اللهم استجب

إخوة الإسلام: إن للثبات على دين الله الحق أسباب وهي كثيرة أذكر لكم باقة منها:

أولاً: الشعور بالافتقار إلى الله – تعالى لأنه ليس بنا غنى عن تثبيته طرفة عين. قال تعالى مخاطباً خير خلقه وأكرمهم عليه: ﴿وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ (الإسراء: 74)

روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك قال: كان رسولُ اللهِ (ﷺ) يُكثرُ أن يقولَ يا مقلِّبَ القلوبِ ثَبِّتْ قلبِي على دينِك فقلت يا نبيَّ اللهِ آمنَّا بك وبما جئتَ به فهل تخافُ علينا؟ قال نعم إن القلوبَ بينَ إصبعينِ من أصابعِ اللهِ يُقلِّبُها كيفَ يشاءُ" (رواه الترمذي في كتاب القدر من جامعه وقال: حسن)

إن هذا الأمر كانت تنفطر منه قلوب الأتقياء وتنصدع له أكباد الأولياء كيف لا والخاتمة مغيّبة والعاقبة مستورة والله غالب على أمره والنبي (ﷺ) قد قال: "فَوَالَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حتَّى ما يَكونُ بيْنَهُ وبيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عليه الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وإنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حتَّى ما يَكونُ بيْنَهُ وبيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عليه الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا" (صحيح مسلم) فالله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ثانيا: من أسباب الثبات الصلاح الإيمان بالله تعالى، قال عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (إبراهيم: 27)

ثالثاً: من أسباب الثبات ترك الذنوب فإنها من أسباب زيغ القلوب فقد قال (ﷺ) فيما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه): "لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُها وهو مُؤْمِنٌ"

رابعاً: من أسباب الثبات على الإسلام الإقبال على كتاب الله تلاوة وتعلماً وعملاً وتدبراً فإن الله - سبحانه و تعالى - أخبر بأنه أنزل هذا الكتاب المجيد تثبيتاً للمؤمنين وهداية لهم وبشرى، قال الله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: 102)

خامساً: من أسباب الثبات على الصالحات عدم الأمن من مكر الله، فإن الله - سبحانه و تعالى - قد حذر عباده مكره فقال عز وجل: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (الاعراف: 99)

فالحذر الحذر من الأمن والركون إلى النفس فإنه مادام نَفَسُك يتردد فإنك على خطر قال ابن القيم رحمه الله في تفسيره: إن العبد إذا علم أن الله - سبحانه و تعالى - مقلب القلوب وأنه يحول بين المرء وقلبه وأنه - تعالى - كل يوم هو في شأن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وأنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويرفع من يشاء ويخفض من يشاء فما يؤمّنه أن يقلب الله قلبه ويحول بينه وبينه ويزيغه بعد إقامته وقد أثنى الله على عباده المؤمنين بقوله: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ فلولا خوف الإزاغة لما سألوه أن لا يزيغ قلوبهم.

سادساً: من أسباب الثبات على الهدى والحق، سؤال الله التثبيت.

فإن الله هو الذي يثبتك ويهديك: فألحوا على الله - تعالى - بالسؤال أن يربط على قلوبكم ويثبتكم على دينكم فالقلوب ضعيفة والشبهات خطافة والشيطان قاعد لك بالمرصاد ولك فيمن تقدمك من المؤمنين أسوة حسنة فإن من دعائهم: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران: 8)

أسال الله أن يثبتنا وإياكم على الخير والصلاح.